

# تَلْمِذَةٌ

{الحلقة ١٠ - تعليم ٨}

## التلميذُ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ نَظْرَةَ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ

رُغْمَ أَنَّ الْكَثِيرِينَ قَدْ اخْتَبَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الْمُخْلِصَةَ وَأَصْبَحُوا أَوْلَادًا لِلَّهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا زَالُوا يُعَانُونَ مِنْ عَدَمِ التَّقَةِ بِالنَّفْسِ وَالشُّعُورِ بِالنَّقْصِ وَعَدَمِ الْاسْتِحْقَاقِ، أَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَخَلَّصُوا بَعْدَ مِنْ غُرُورِهِمْ وَكِبْرِيائِهِمْ. لِهَذَا، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنُمُو نُمُوًّا رُوحِيًّا سَلِيمًا، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَخْدِمَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ كَمَا يَنْبَغِي، يَجِبُ عَلَيْنَا أَوْلًا أَنْ نَصَحَّحَ نَظْرَتَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا.

وما نَعْنِيهِ بِاحْتِرَامِ الدَّاتِ (أَوْ "تَقْدِيرِ الدَّاتِ") هُوَ أَنْ تَكُونَ أَفْكَارُكَ وَمَشَاعِرُكَ تَجَاهَ نَفْسِكَ إِيْجَابِيَّةً وَصَحِيحَةً وَمُتَوَازِنَةً. فَاللَّهُ يُرِيدُكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى نَفْسِكَ نَظْرَةً إِيْجَابِيَّةً سَلِيمَةً قَائِمَةً عَلَى كَلِمَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ. فَهُوَ لَا يُرِيدُنَا أَنْ نَكُونَ صِغَارَ النَّفْسِ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُرِيدُنَا أَنْ نَكُونَ مُتَكَبِّرِينَ. فَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ لَا يُحِبُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا يَرُونَ قِيَمَةً لِدَوَاتِهِمْ. أَمَّا الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يُعَانُونَ مِنَ الْغُرُورِ فَيُبَالِغُونَ فِي حُبِّ دَوَاتِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَ دَوْمًا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِينَ.

لهذا، أَرْجُو أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ السُّؤَالَ التَّالِيَّ: "مَا هِيَ قِيَمَتُكَ فِي نَظَرِ نَفْسِكَ؟" فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ الْآخَرِينَ أَفْضَلُ مِنْكَ فَهَذِهِ نَظْرَةٌ خَاطِئَةٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ فَهَذِهِ نَظْرَةٌ خَاطِئَةٌ أَيْضًا.

**لَكِنْ كَيْفَ يُشَكِّلُ الْإِنْسَانُ نَظْرَتَهُ الْخَاطِئَةَ لِنَفْسِهِ؟** غالبًا ما يَحْدُثُ ذَلِكَ فِي ثَلَاثِ خُطُواتٍ.

وحيثُ أَنْ هَذِهِ الْخُطُواتِ مُهِمَّةٌ، فَتَعَالَ بِنَا نُنَاقِشُهَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ:

الْخُطُوةُ الْأُولَى هِيَ أَنَّنَا نَقَارِنُ أَنْفُسَنَا بِالْآخَرِينَ.

نَحْنُ نَلْتَقِي بِأَشْخَاصٍ مُخْتَلِفِينَ كُلَّ يَوْمٍ. وَغَالِبًا مَا نَقُومُ بِمُقَارَنَةِ أَنْفُسِنَا بِالْآخِرِينَ دُونَ وَعَيِّ مِنَّا. فَحَنُّ نُقَارِنُ مَظْهَرَنَا بِمَظْهَرِهِمْ، وَمَكَانَتَنَا فِي الْمُجْتَمَعِ بِمَكَانَتِهِمْ، وَقُدْرَاتِنَا بِقُدْرَاتِهِمْ، وَمَهَارَاتِنَا بِمَهَارَاتِهِمْ. كَمَا أَنَّ نُقَارِنُ مُسْتَوَانَا الْمَادِيَّ بِمُسْتَوَاهُمْ وَمُمْتَلَكَاتِنَا بِمُمْتَلَكَاتِهِمْ. وَهَذَا يَنْطَبِقُ أَيْضًا عَلَى الْمَلَابِسِ، وَالشَّعْرِ، وَطَرِيقَةِ الْمَشْيِ، وَالْكَلَامِ، وَالضَّحْكِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

لَكِنْ حِينَ نُقَارِنُ أَنْفُسَنَا بِالْآخِرِينَ فَإِنَّ شَيْئًا مَا يَحْدُثُ فِي عُقُولِنَا وَنُفُوسِنَا. فَحَنُّ إِمَّا أَنْ نَشْعُرَ أَنَّ أَقْلَ شَأْنًا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَوْ أَنَّ أَعْلَى مِنْهُمْ شَأْنًا.

لَكِنْ مَا الَّذِي يَحْدُثُ حِينَ نَعْتَقِدُ أَنَّ أَقْلَ شَأْنًا مِنَ الْآخِرِينَ؟ عِنْدَمَا تُقَارِنُ مَظْهَرَكَ بِمَظْهَرِ شَخْصٍ آخَرَ فَإِنَّكَ تَشْعُرُ بِالِاسْتِيَاءِ مِنَ الْهَيْئَةِ الَّتِي خُلِقْتَ عَلَيْهَا. وَعِنْدَهَا، قَدْ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ: "أَنَا أَكْرَهُ نَفْسِي"، أَوْ "لِمَاذَا خَلَقَنِي اللَّهُ هَكَذَا؟" وَعِنْدَمَا تُقَارِنُ مُمْتَلَكَاتِكَ بِمُمْتَلَكَاتِ شَخْصٍ آخَرَ فَسَوْفَ تَبْدَأُ بِالتَّفْكِيرِ بِطَرِيقَةٍ سَلْبِيَّةٍ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَدَيْكَ وَقَدْ تَشْعُرُ بِالِاسْتِيَاءِ فَتَقُولُ: "مَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَدَيْ؟" إِنَّهَا لَا شَيْءَ! أَوْ "لِمَاذَا لَمْ أُولَدْ فِي عَائِلَةٍ غَنِيَّةٍ بَدَلًا مِنْ هَذَيْنِ الْاِبْوِينِ الْفَقِيرِينَ؟" وَعِنْدَمَا تُقَارِنُ قُدْرَاتِكَ وَمَوَاهِبِكَ بِقُدْرَاتِ الْآخِرِينَ وَمَوَاهِبِهِمْ فَقَدْ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ: "أَنَا لَا أَحْمِلُ شَهَادَةً جَامِعِيَّةً مِثْلَ هَؤُلَاءِ" أَوْ قَدْ تَتَذَمَّرُ قَائِلًا: "لِمَاذَا لَا أَتَقِنُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يُتَقِنُهَا فُلَانٌ؟" وَهَذِهِ جَمِيعُهَا أُمْتَلَأَ عَلَى الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَشْعُرُ بِهَا حِينَ نَعْتَقِدُ أَنَّ الْآخِرِينَ أَفْضَلَ مِنَّا.

وَمَاذَا عَنِ نَظَرَتِنَا إِلَى دَوَاتِنَا حِينَ نَعْتَقِدُ أَنَّ أَفْضَلَ مِنَ الْآخِرِينَ؟ عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى أَنْفُسِنَا عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ مِنَ الْآخِرِينَ فَهَذَا لَا يُعَبِّرُ عَنِ تَقْدِيرِنَا السَّلِيمِ لِدَوَاتِنَا بِقَدْرِ مَا يُعَبِّرُ عَنِ غُرُورِنَا وَكِبْرِيَانِنَا. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ أَنَّ نَنْظُرُ إِلَى الْآخِرِينَ عَلَى أَنَّهُمْ أَقْلَ شَأْنًا مِنَّا بِسَبَبِ مَظْهَرِهِمْ الْخَارِجِيِّ أَوْ بِسَبَبِ افْتِقَارِهِمْ لِلْجَمَالِ. وَهَذَا يَجْعَلُ أَفْكَارَنَا وَمَشَاعِرَنَا سَلْبِيَّةً تَجَاهَهُمْ. وَكَذَلِكَ الْحَالُ عِنْدَمَا نَنْتَقِدُ ذَوْقَ الْآخِرِينَ فِي مَلَابِسِهِمْ أَوْ مُمْتَلَكَاتِهِمْ. فَعِنْدَمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ فَكأنْنَا نَقُولُ إِنَّ ذَوْقَنَا أَفْضَلُ مِنْ ذَوْقِهِمْ وَأَنَّ أَفْضَلَ مِنْهُمْ. وَقَدْ نَفَكَّرُ بِالْآخِرِينَ بِطَرِيقَةٍ سَلْبِيَّةٍ عِنْدَمَا نَقْلُلُ مِنْ شَأْنِ قُدْرَاتِهِمْ وَمَوَاهِبِهِمْ، أَوْ عِنْدَمَا نَسْخَرُ مِنْ إِنْجَازَاتِهِمْ الْمُتَوَاضِعَةِ. وَهَذِهِ كُلُّهَا أُمْتَلَأَ عَلَى الْمَشَاعِرِ وَالْأَفْكَارِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَعَكَّسُ نَظَرَتِنَا لِأَنْفُسِنَا بِأَنَّ أَفْضَلَ مِنَ الْآخِرِينَ.

وَهَكَذَا، مَا الَّذِي يَحْدُثُ لَنَا حِينَ يَكُونُ هُنَاكَ خَلَلٌ مَا فِي نَظَرَتِنَا إِلَى أَنْفُسِنَا؟ غَالِبًا مَا تَوَدِّي النَّظْرَةَ الْخَاطِئَةَ إِلَى النَّفْسِ أَوْ الْآخِرِينَ إِلَى كِرَاهِيَّتِنَا لِأَنْفُسِنَا .. وَلِلْآخِرِينَ .. وَهُوَ أَيْضًا. فَعِنْدَمَا لَا

تَقْدَرُ نَفْسَكَ كَمَا يَنْبَغِي فَسَوْفَ تَسْتَأْ مِنْ الْهَيْئَةِ الَّتِي خَلَقَكَ اللهُ عَلَيْهَا أَوْ مِنَ الْقُدْرَاتِ وَالْمَوَاهِبِ الَّتِي وَهَبَكَ اللهُ لِهَا. أَوْ رُبَّمَا تَشْعُرُ بِالْغَيْرَةِ مِنَ الْآخَرِينَ بِسَبَبِ مُمْتَلِكَاتِهِمْ أَوْ جَمَالِهِمْ أَوْ قُدْرَاتِهِمْ. وَقَدْ تَشْعُرُ بِالْخَجَلِ لِأَنَّكَ فَقِيرٌ. وَقَدْ تُصْبِحُ نَاقِدًا عَيَّابًا لِنَفْسِكَ طَوَالَ الْوَقْتِ مِمَّا يُضْعِفُ إِنتَاجِيَّتَكَ وَعَطَاءَكَ وَخِدْمَتَكَ. وَقَدْ تَشْعُرُ بِأَنَّكَ أَقْلُ شَأْنًا مِنَ الْآخَرِينَ فَتَبْتَغِدُ عَنِ النَّاسِ وَتَعِيشُ وَحِيدًا. مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذَا نَظَرْتَ إِلَى نَفْسِكَ نَظْرَةً مُتَعَالِيَةً فَسَوْفَ تَحْتَقِرُ الْآخَرِينَ، وَتُصْبِحُ مُتَعَجِّرِفًا، وَتَتَوَقَّعُ مِنَ الْآخَرِينَ أَنْ يُرْضَوْكَ وَأَنْ يَرْضَخُوا لَكَ. وَقَدْ يُوَدِّي غُرُوكَ هَذَا إِلَى سُقُوطِكَ - لَا سِيَّمَا إِذَا أَصْبَحْتَ تَتَكَلَّمُ عَلَى نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ اتِّكَالِكَ عَلَى اللهِ.

قُلْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ إِنَّ هُنَاكَ ثَلَاثَ خُطُواتٍ تَقُودُنَا إِلَى تَشْكِيلِ نَظَرَتِنَا الْخَاطِئَةِ إِلَى أَنْفُسِنَا. وَقُلْنَا إِنَّ الْخُطُوةَ الْأُولَى فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ تَحْدُثُ حِينَ نَقَارِنُ أَنْفُسَنَا بِالْآخَرِينَ.

### الْخُطُوةُ الثَّانِيَةُ هِيَ أَنَّنَا نَتَرَاغِعُ مِنْ سَيِّئِ إِلَى أَسْوَأٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَقَابِلُ فِيهَا هَوْلَاءَ الْأَشْخَاصِ.

عِنْدَمَا نَلْتَقِي بِشَخْصٍ مَا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فغَالِبًا مَا تَتَشَكَّلُ لَدَيْنَا بَعْضُ الْأَفْكَارِ أَوْ الْمَشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ تَجَاهَ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ تَجَاهَ أَنْفُسِنَا. فَقَدْ نَشْعُرُ بِالثِّقَةِ الزَّائِدَةِ بِنَفْسِنَا أَوْ بِضَعْفِ الثِّقَةِ بِنَفْسِنَا. وَعِنْدَمَا نَلْتَقِي بِهَذَا الشَّخْصِ مَرَّةً أُخْرَى فَسَوْفَ نَشْعُرُ بِالْمَشَاعِرِ ذَاتِهَا؛ لَكِنَّهَا سَتَكُونُ أَقْوَى فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ. وَهَذَا هُوَ مَا يَحْدُثُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَقَابِلُ فِيهَا هَذَا الشَّخْصَ حَيْثُ تُصْبِحُ مَشَاعِرُنَا السَّلْبِيَّةُ أَقْوَى وَأَقْوَى. فَنَحْنُ إِمَّا أَنْ نَشْعُرَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الثِّقَةِ بِنَفْسِنَا وَالْغُرُورِ فَنَسْعَى إِلَى التَّسَلُّطِ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ وَالتَّحَكُّمِ بِحَيَاتِهِ، وَإِمَّا أَنْ نَشْعُرَ بِالْمَزِيدِ مِنْ عَدَمِ الْأَمَانِ وَالدُّوْنِيَّةِ فَنَسْعَى إِلَى إِرْضَائِهِ بِشَتَّى السُّبُلِ. وَلِأَنَّنا نَسْتَمِرُّ فِي عَقْدِ الْمُقَارَنَاتِ وَالْمُقَارَنَاتِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْآخَرِينَ فَإِنَّ أَفْكَارَنَا وَمَشَاعِرَنَا السَّلْبِيَّةَ تَسِيرُ مِنْ سَيِّئِ إِلَى أَسْوَأٍ بِمُرُورِ الْوَقْتِ.

وَهَكَذَا، فَالْخُطُوةُ الْأُولَى الَّتِي تَقُودُنَا إِلَى تَشْكِيلِ نَظَرَتِنَا الْخَاطِئَةِ إِلَى أَنْفُسِنَا هِيَ أَنْ نَبْدَأَ بِمُقَارَنَةِ أَنْفُسِنَا بِالْآخَرِينَ. وَالْخُطُوةُ الثَّانِيَةُ هِيَ أَنْ نَسْمَحَ لِأَنْفُسِنَا بِأَنْ نَسِيرَ مِنْ سَيِّئِ إِلَى أَسْوَأٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَلْتَقِي فِيهَا بِهَوْلَاءِ الْأَشْخَاصِ.

### الْخُطُوةُ الثَّالِثَةُ هِيَ أَنَّنَا نَبْدَأُ بِالتَّشَكُّلِ وَفَقًّا لِلصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ الَّتِي رَسَمْنَاها عَنْ أَنْفُسِنَا.

وَهَذِهِ هِيَ أَسْوَأُ مَرَحَلَةٍ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَصِلَ إِلَيْهَا إِذَا تَرَكَنا أَنْفُسَنَا نَقَّادًا بِالْجَسَدِ وَبِالْأَفْكَارِ السَّلْبِيَّةِ. فَفَرَأُ فِي رِسَالَةِ غَلَاطِيَّةِ ٦: ٧-٨: "لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنْ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا،

وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً. فَلَا نَفْسَلُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لِأَنَّ سَحْصُدَ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لَا نَكِلُ".

مَا الَّذِي نَتَعَلَّمُهُ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ؟ هُنَاكَ مَبْدَأُ هَامٌّ جِدًّا لِحَيَاتِنَا نَتَعَلَّمُهُ مِنْ غِلَاطِيَّةِ ٦: ٧ وَ ٨ أَلَا وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْصُدُ مَا يَزْرَعُهُ. فَإِذَا زَرَعَ الْإِنْسَانُ أَفْكَارًا وَمَشَاعِرَ سَلْبِيَّةً عَنِ نَفْسِهِ أَوْ عَنِ الْآخَرِينَ فَسَوْفَ تَتَشَكَّلُ شَخْصِيَّتُهُ وَفَقًا لِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ. وَهَذَا هُوَ مَا نَقْرَأُ فِي سِفْرِ الْأَمْثَالِ ٢٣: ٧: "لِأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ فِي نَفْسِهِ هَكَذَا هُوَ". فَإِذَا اسْتَمَرَّيْنَا فِي النَّظَرِ إِلَى أَنْفُسِنَا عَلَى أَنَّنَا أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِينَ فَسَوْفَ نُصْبِحُ أَشْخَاصًا مُتَكَبِّرِينَ، وَقُسَاةَ الْقُلُوبِ، وَعَدِيمِي الْحَسِّ بِاحْتِيَاجَاتِ الْآخَرِينَ، وَمُتَسَلِّطِينَ عَلَيْهِمْ. وَإِذَا اسْتَمَرَّيْنَا فِي النَّظَرِ إِلَى الْآخَرِينَ عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَّا فَسَوْفَ نُصْبِحُ أَشْخَاصًا سَلْبِيَّيْنَ، وَغَيُورِينَ، وَحَسُودِينَ، وَسَاعِينَ إِلَى إِرْضَاءِ الْآخَرِينَ عَلَى حِسَابِ أَنْفُسِنَا أَوْ حَتَّى عَلَى حِسَابِ اللَّهِ.

إِذَا، مَا الَّذِي يُمَكِّنُنَا الْقِيَامُ بِهِ إِذَا كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى أَنْفُسِنَا نَظْرَةً لَا تَتَوَافَقُ مَعَ تَعَالِيمِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَسَوْفَ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى أَنْفُسِنَا نَظْرَةً مُتَعَالِيَةً أَوْ نَظْرَةً دُونِيَّةً فَإِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ لَا تَتَوَافَقُ مَعَ نَظْرَةِ اللَّهِ لَنَا وَمَعَ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ لِحَيَاتِنَا. فَجَمِيعُ السَّلُوكِيَّاتِ الَّتِي تَنشَأُ عَنِ اعْتِقَادِنَا بِأَنَّنا أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِينَ أَوْ أَنَّ الْآخَرِينَ أَفْضَلُ مِنَّا هِيَ خَطَايَا فِي نَظَرِ اللَّهِ. لَكِنَّ الْأَمْرَ لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ إِنَّ شَخْصِيَّاتِنَا سَتَتَشَكَّلُ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَفْكَارِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي زَرَعْنَاهَا يَوْمًا تَلُو الْآخِرَ فِي حَيَاتِنَا مِمَّا يُعْبِقُ نُمُونا الرُّوحِيَّ.

وَلَكِنِّي نَتَغَلَّبُ عَلَى هَذَا الضَّعْفِ فِي حَيَاتِنَا وَنَبْدَأُ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْفُسِنَا نَظْرَةً مُتَوَازِنَةً تَتَوَافَقُ مَعَ مَا يَقُولُهُ لَنَا اللَّهُ فِي كَلِمَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ مَا نَفْعَلُهُ خَطِيئَةٌ. وَكَمَا نَقْرَأُ فِي رِسَالَةِ يُوحَنَّا الْأُولَى ١: ٨-٩: "إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا. إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ". وَبِالتَّالِي، إِنْ اعْتَرَفْنَا لِلَّهِ بِأَنَّ مَا نَفْعَلُهُ خَطِيئَةٌ فَسَوْفَ يَغْفِرُ لَنَا خَطِيئَتِنَا هَذِهِ، وَيُطَهِّرُ قُلُوبَنَا، وَيُسَاعِدُنَا عَلَى أَنْ نَتَحَرَّرَ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ خَاطِيٍّ تَجَاهُ أَنْفُسِنَا وَتَجَاهُ الْآخَرِينَ.

وَالآنَ، إِذَا كَانَ هَذَا الْفِكْرُ خَاطِئًا، فَمَا هُوَ فِكْرُ اللَّهِ؟ وَمَا الَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ مِنَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ

بِنَظَرِنَا إِلَى أَنْفُسِنَا؟

يُمْكِنُنَا أَنْ نُلَخِّصَ مَا يُرِيدُهُ اللهُ مِنَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنَظَرَاتِنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فِي ثَلَاثِ نِقَاطٍ

رئيسية:

أولاً: ركز نظرك على شخص المسيح لا على الناس.

وفقاً لما تعلمناه في كلمة الله، ما هو الشيء الذي ينبغي علينا أن نركز أنظارنا عليه؟  
نقرأ في رسالة كولوسي ٣: ١-٤ و ٢٣-٢٤: "فإن كنتم قد قمتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق،  
حيثُ المسيح جالسٌ عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد متُّم وحياتكم  
مُسْتَتِرَةٌ مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذٍ تظهرون أنتم أيضاً معه في  
المجد... وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس، عالمين أنكم من الرب  
ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح".

إذاً، ينبغي أن تُركِّزَ نظركَ على شخصِ الربِّ يسوعَ المسيح لا على البشر. كما ينبغي  
عليك أن تحيا وتفعل كل شيء كما للرب لا للناس لأنك ستظهر معه في المجد وتأخذ ميراثك  
الأبدية منه. لهذا، في كل مرة تلتقي فيها بناس آخرين، تذكر أنه لا يجوز أبداً أن تقارن نفسك  
بهم ولا أن تركز عليهم كأشخاص. وإن فعلت ذلك فالتجئ إلى الرب فوراً واعترف له بخطيئتك  
واطلب منه أن يسامحك وأن يعطيك القدرة على أن تركز على شخص المسيح.

ثانياً: اكتسب تفديرك لذاتك من خلال نموك مع يسوع المسيح.

لكي تنظر إلى نفسك نظرة كتابية سليمة، يجب عليك أن تؤمن بما يقوله الله عنك وعن  
حياتك. فنحن نقرأ في سفر إشعياء ٤٣: ٤: "إذ صرت عزيزاً في عيني مكرماً، وأنا قد أحببتك.  
أعطي أناساً عوضك وشعوباً عوض نفسك". أرجو أن تكون قد رأيت من خلال هذه الآية أنك  
عزيز في عيني الرب وأنك مكرم عنده، وأنه يحبك.

ونقرأ في سفر إرميا ٢٩: ١١: "لأنني عرفت الأفكار التي أنا مفكر بها عنكم، يقول  
الرب، أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء". يُمكنك أن ترى من خلال هذه الآية أن لدى

الله خُطَّةً رَائعةً لِحياتِكَ ومُستقبَلِكَ. فهو يُريدُ أن يُعطيكَ حياةً أبديَّةً ورَجاءً. وهكذا، عندما تؤمنُ بنظرةِ الله لكِ وبخطَّةِ الله لِحياتِكَ، سوفَ ينعكسُ ذلكُ إيجابياً على نظرتِكَ لنفسِكَ.

ولكي تنمو مع الربِّ يسوع المسيح، يجبُ عليكِ أن تُتمِّي علاقةَ المحبَّةِ بينك وبين الله وأن تقومَ بخدِّمةٍ تتوافقُ مع المواهبِ والقدراتِ التي وهبَكَ اللهُ إياها. فنقرأُ في رسالةِ كولوسي ٢: ٦-٧: "فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيهِ، مُتَّصِلِينَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمَوْطِدِينَ فِي الْإِيمَانِ، كَمَا عَلَّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ". فعندما تفعلُ ذلكَ، سوفَ تجدُ أنَّ نظرتَكَ لنفسِكَ قد تغيَّرتْ بصورةٍ جذريَّةٍ.

كذلكَ فإنَّ لقاءَكَ معَ مؤمنينَ آخرينَ وتشجيعُكم بعضُكم لبعضٍ سيساعدُكُ كثيراً في تصحيحِ نظرتِكَ الخاطئةِ لنفسِكَ. فنقرأُ في الرسالةِ إلى العبرانيين ١٠: ٢٤-٢٥: "وَلِنَلَاحِظَ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيزِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمِ عَادَةٍ، بَلْ وَأَعْظِيمِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ". وهكذا، فإنَّ لقاءَكَ المُنتظمَ معَ المؤمنينَ الآخرينَ يبني إيمانَكَ ويساعدُكُ في أن تتنظرَ إلى نفسك نظرةً تتوافقُ مع ما تقولُهُ كلمةُ الله.

**ثالثاً وأخيراً: اجعلْ هدفَكَ هوَ أن تصيرَ مُشابهاً ليسوعَ المسيحِ.**

نقرأُ في رسالةِ كورنثوسِ الثانيةِ ٣: ١٨: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ". كما نقرأُ في رسالةِ أفسسِ ٥: ١-٢: "فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّابَا الْمَسِيحِ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً". نرى من خلالِ هذهِ الآياتِ أنَّ اللهَ لا يريدُنا أن نُشابهَ أيَّ شخصٍ مِنَ البَشَرِ، بل يريدُنا أن نُشابهَ يسوعَ المسيحِ. فإذا حاولنا أن نُقارِنَ أنفسنا بالآخرينَ فلنَ نحصلَ إلا على صورةٍ مشوَّهةٍ لأنفسنا. فهذهِ المقارناتُ ستقودنا إمَّا إلى الغرورِ والكبرياءِ اعتقاداً مِنَّا بأننا أفضلُ منهمُ، أو إلى الشعورِ بالدونيَّةِ اعتقاداً مِنَّا بأنَّ الآخرينَ أفضلُ مِنَّا.

أما إذا ركّزنا أنظارنا على السيّد المسيح فسوف نَنمو شيئاً فشيئاً ونتشكّل على صورة المسيح من حيث القداسة والمحبة والغفران والتضحية وغير ذلك من الصفات الرائعة التي يُريدنا الله أن نتشكّل عليها.

ولمُساعدتك على النظرِ إلى نفسك نظرة تقديرٍ سليمةٍ تتوافق مع ما يريدُه الله لك ولحياتك، انظر إلى الأعضاء المختلفة التي تُكوّنُ جسدك. فهناك الرأس واليدين والساقين؛ وهناك العين والأذن والفم. ولكل عضوٍ قيمته وأهميته الخاصة به. لهذا، لا يجوز للعين أن تتمنى أن تكون أذنًا، ولا الأذن أن تكون يدًا. فالله خلق كلًّا منها بهيئةٍ معينةٍ للقيام بوظيفةٍ مُحدّدة. وهكذا الحال بالنسبة لي ولك يا صديقي. فلا يجوز أن أتمنى أن أكون شخصاً آخرَ لأنَّ الله خلقني لأكون هكذا ولكي أؤدي عملي وخدمتي بما يتوافق مع القدرات والمواهب التي وهبني الله إياها.

وهذا هو ما أوضحه الرسول بولس في حديثه عن المواهب الروحية في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢: ٢٠-٢٤ حيث قال:

فَالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. لَا تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكَ!». أَوْ الرَّأْسُ أَيْضًا لِلرَّجْلَيْنِ: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!». بَلْ بِالْأُولَى أَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي تَظْهَرُ أضعفَ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ. وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلَا كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالْأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةُ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ. وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فِينَا فَلَيْسَ لَهَا احتِياجٌ. لَكِنَّ اللَّهَ مَزَجَ الْجَسَدَ، مُعْطِيًا الناقصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ.

ورغم أن هذه الآيات تتحدث عن المواهب الروحية في الكنيسة، إلا أنها تُرينا أيضًا أن كل واحدٍ فينا مهمٌ في خطة الله، وأن الله قصد أن يجعلنا مختلفين بعضنا عن بعضٍ من حيث الشكل الخارجي، والقدرات، والمواهب، والظروف المعيشية، وغير ذلك.

لهذا، أشجّعك أن تفتح ذهنك وقلبك لفهم قصد الله لحياتك. كما أشجّعك أن تتنظر إلى نفسك - من الآن فصاعدًا - لا بمنظار نفسك، ولا بمنظار العالم؛ بل بمنظار الله. فإن فعلت ذلك

فسوفَ تنمو في علاقتك مع الله وتصبحُ خادماً ناضجاً ونافعاً للسيد المسيح الذي ماتَ لأجلك لكي يُعطيكَ حياةً أفضل.

أيها الآبُ السَّمَاوِيُّ المَحِبُّ: أصلي لأجلِ مُستمِعينَا لكي تُعطي كُلَّ واحدٍ منهم  
نظرةً سليمةً وصحيحةً لنفسه بما يتوافقُ معَ مشيئتكِ وقصدك لحياته. باسمِ  
يسوعَ المسيح. آمين.

وإلى أن نلقاكم في درس جديدٍ من برنامج "تلمذة"، لكم منَّا أطيبَ الأمنياتِ والتحياتِ.  
وسلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ يحفظُ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.